باب الجيوش والاساطيل

﴿ الحرب بين اليابان والروسية ﴾

الروسية دولة تشب شبابا عجيبا مساحة ارضها تناهز سدس الارض ولكن معظمها في اقصى الشمال حيث البحار جامدة من شدة البرد لا ينتفع بها . وسكانها مئة الف الف او يزيدون عشرة آلاف الف ونيفا، ونحو ثمانين الف الف منهم خاضعون للكنيسة الشرقية يقلدون المذهب الارثوذكسي مذهب الحكومة الرسمي . وجيشها في وقت السلم زهاء ١٨٩٦٠٠٠ الفا ويقال ان في امكانها تجنيد اربعة ملايين ونصف اذا وجدت المال الكافي لذلك . وتقول اذا وجدت المال فانها لا تجد الضباط والقواد الذين يديرون نظام هذا الجيش مجتمعا ولكن لها من العسكر مددا لا ينفد في حرب اي دولة من الدول الكبرى . وقد ارتقت اساطيلها في السنين الاخيرة وكثرت حتى صارت قوتها البحرية في الدرجة الثالثة اي بعد انكلترا وفرنسا . ويقال ان عدد سفنها الحربية يزيد على مئتي سفينة متفرقة في البحر الاسود وبحر قزوين وبحر البلطيك وبحر الصين ولكن السفن الجديدة القوية التي يعتمد عليها في الحرب لا تزيد على خمسين سفينة . ثم ان عسكر هذه الدولة في البر والبحر متمرن على القتال والنزال ، مستعد له في كل حال ، ومالية الروس في ارتقاء مستمر ولهم خزينة مخصوصة للحرب ، نعم ان الامة الروسية في ظلمات من الجهل ودولتها في غمرات من الاستبداد ولكن كان من الحكمة ان بدأت باصلاح العسكرية ثم المالية وأما الادارة والمعارف فلا يتأتى اصلاحهما في مثل تلك البلاد الواسعة والامة العريقة في الجهل الا بالتدريج البطيء ولهذه الدولة رجال لا يبارون في السياسة فهم في الدرجة الاولى ولذلك نالت بين الدول مقاما عليا . وقد قلت منذ سنين ان روسيا كشاب في سن العشرين وألمانيا كشاب في الثلاثين وانكلترا كرجل في الاربعين وفرنسا قد أشرفت على الخمسين أو دخلت فيها .

أصبحت هذه الدولة القاهرة مرهوبة الشذا من دول أوربا القوية ولقد حالفتها دولة فرنسا فكان حديث الامم ان فرنسا على عظمتها وغناها وقوتها وعلمها هي

التابعة وروسيا هي المتبوعة. أليس من العجيب ان تجرأ على هذه العظمة والجبروت دولة شرقية حديثة المدنية كدولة اليابان التي لايكاد يزيد عدد رعيتها على ثلث عدد الروسيين الا قليلا ؟ اليس من العجيب ان يغاضب هذا الطفل الصغير (كما يقول القيصر) ذلك الشاب المعتلي قوة وشبابا وزهوا وإعجابا ثم يواثبه فيخيفه ولايخاف منه؟؟

بلى ان هذا من مواطن العجب، عند من لايعرف السبب، عند هؤلاء الافراد الذين لايعرفون معنى حياة الامم وعزة الدول وان كانوا من الكثرة بحيث يطلق عليهم لفظ (أمة) - عند الذين لهم هيئات حكومات يطلق عليها لفظ (الدولة) — عند الافراد الذين لم يشعروا بأن في الكون سنة إلهية سماها الناس (تنازع البقاء) وهي تقضي بنمو الحي القوي، بتغذيه بالضعيف والميت، وانهم لم يشعروا لانهم لم يذوقوا «ومن ذاق عرف» اما الميت منهم فلم يذق لانه ميت وأما الضعيف فلم يشعر لان معدته لاتقبل الغذاء فارادته لاتطلبه فهو في معنى الميت الا انه اشقى منه بما بقي له من الشعور بالالم عند تغذي الاصحاء به.

أظن ان القارئ فهم المراد لانه يعرف ان أكثر الذين يعيش معهم لايحسون ولا يشعرون بأنهم طعام للامم الحية ومن عساه يحس منهم بذلك فانه يتألم ولايكاد يبدي حراكا لانه اذا قوي على الحركة صاح به سائر الضعفاء واستماتوا عليه بالاموات وقالوا جميعا: هلموا به فانه يريد ان يغير ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا من جراثيم مانحن فيه (أي من الضعف والموت الزؤام فانهم في ذلك دون سواه) فهذا يرميه بكسر القيود، وذلك ينبذه باعتداء الحدود، وفلان يقول إنه اجاز لنا ان نأكل مع الآكلين، وفلان ينادي بل أجاز لنا ان نلبس من لبوس السائدين، لقد أوقعنا في البلاء المبين، وسلب منا باباحة الاكل واللباس الدنيا والدين، فاذا اجاز لهم مع الغذاء والكساء ان يكسبوا مع الكاسبين، فقد استحق عندهم ان يكون من المخرجين،

أمثال هؤلاء لهم ان يعجبوا من مواثبة دولة توصف بالشرقية مثلهم لأعظم دولة في الغرب والشرق ولكن الذين يعرفون معنى الحياة لايعجبون فانهم يعلمون ان هذه الامة قد ارتقت في معارج الحياة الاجتماعية فالتمست الغذاء والحي الصحيح يتغذى دائما بغيره فصادفت المقاومة فصلت الحسام ولجأت الى القوة فحاربت دولة الصين التي يبلغ

سكان بلادها زهاء ثلث البشر فقهرتها واستولت على طائفة من بلادها تسمى كوريا قريبة من اليابان وهي تستمد منها غلاتها وتتفق فيها تجارتها وعليها كان النزاع وتنازلت الصين لليابان بعد الحرب عن ميناء (بورت أرثر) وطالیانوان، وهما الثغران اللذان يرن ذكرهما كل يوم في الآذان، ولكن روسيا حسدتها على هذه الغنمة وخافت مع غيرها من الدول الاوروبية عاقبة اليابان فاتفقت مع المانيا وفرنسا على حرمان الظافر من ثمرة ظفره وقضت هذه الدول الثلاث على اليابان بالخروج من منشوريا وكانوا تغلغلوا فيها وباستقلال كوريا (وذلك بعد الحرب سنة ١٨٩٥ م) وفي أثناء ذلك احتلت الروسية منشوريا بحجة تسوية مسألة اليابان والمحافظة على استقلال الصين الذي عقدت المحالفة الثلاثية لاجله ولكنها لم تخرج منها بعد خروج اليابان ولم تكتف بذلك حتى اتفقت مع الصين على اصلاح ثغر بورت أرثر وطالیانوان ثم طفقت تمد السكك الحديدية في منشوريا وتقيم فيها الحصون والقلاع بحجة حماية السكة الحديدية وقد خاطبتها اليابان في الجلاء عن منشوريا « حفظا لاستقلال الصين » فماطلت وسوفت ثم وعدت وعدا الى أجل مسمى فانقضى الاجل ولم تف بالوعد فعلمت اليابان ان السعي في اخراجها انما كان لاجل الحلول في محلها والاستئثار بغنيمتها فطفقت تستعد للكفاح، وتطالب الروسية بالوفاء بوعدها مع شروط اخرى بغاية الالحاح، ولما ابطأت عليها بالجواب آذنتها بقطع الصلات السياسية، وابتدأتها بالحرب بحرية وبرية،

اما قوة اليابان البرية فقد قالوا انها تستطيع ان تجهز في زمن السلم زهاء ثلاث مئة الف مقاتل. وأما اساطيلها فهي أقل من مجموع الاساطيل الروسية سفنا ولكنها في الغالب اسرع منها سيرا وأبعد رميا وعدد السفن الحربية عندها على اختلاف أنواعها ثلاث وثلاثون يقابلها خمسون عند عدوتها ولكن هذه لا تستطيع ارسالها كلها الى الشرق الاقصى فاليابان هنالك أقوى اسطولا والفحم الحجري عندهم أقرب تناولا لكثرته في بعض جزائرهم وعندهم حياض كثيرة لاصلاح السفن التي يمرض لها في الحرب التلف في آلاتها او في ذاتها. وقوة اليابان البحرية سهلت عليها انزال جنودها البرية حيث تشاء من موانئ كوريا وامدادها بما تحتاج اليه من المؤن والذخائر. وقد حصرت الاسطول الروسي في مرفأ ميناء بورت أرثر بسداد دمرت بعض مدرعاته في مهاجمتها تدميرا

هذه الاسباب واصعوبة ارسال الجنود مع ذخائرها ومؤنها من قلب البلاد الروسية الى منشوريا يعد الناس الدولتين المتحاربتين متكافئتين فبعضهم يرجح النصر لهذه وبعضهم يرجحه لتلك ومنهم من يفصل في ترجيحه فيقول ان الظفر يكون في اول الامر لليابان في البر كما كان لها في البحر ولكن الغلبة تكون لخصمها لان مدد الجنود الروسية لا ينفد وعندها المال الكثير الذي يمكنها من مواصلة الحرب مدة سنة كاملة من غير ان تحتاج الى القرض ثم ان الاكتتاب من رعيتها للمعاونة على هذه الحرب قد بدأ بصفة مدهشة اي انه بدأ بالملايين من الروابل (قيمة الروبل عشرة قروش مصرية) فماذا ينتهي

اما ميل الامم الى المتحاربتين فمختلف فالانكليز والامريكان يميلون الى اليابان ويقال ان الانكليز حرضتها على الحرب . وفرنسا تميل الى حليفتها روسيا . وأما المانيا فقد اختلفت الرواية عنها والراجح عندي انها تود الى روسيا ظاهرا وتود ضعفها باطنا لانها جارتها وحليفة عدوتها (فرنسا) وقد ظهر ميل الانكليز والامريكان لليابان في جرائدهم كما ظهر ميل فرنسا لروسيا في جرائدها بل ان شركة روتر البرقية الانكليزية تعتني بنقل الاخبار التي تفيد خذلان الروسيين وشركة هافاس الفرنسية بالعكس . وقد بالغت الجرائد الانكليزية في الطعن والتنفير من روسيا حتى خافت حكومتها مغبة ذلك وطفق الملك يتودد الى القيصر ويكثر مقابلة سفيره في لندن والاقبال عليه . واما المسلمون عامة فانهم يودون ضعف روسيا لانها اكبر خطر على دولهم المستقلة الثلاث — تركيا وايران وافغانستان — ولكن السلطان عبد الحميد افترص ارتباك روسيا واشتغالها بأمر الحرب فبالغ في التودد الى القيصر وهي سياسة حكيمة بصرف النظر عما يقول كبراء الترك من وجود اتفاق سري بينهما فان اظهار الميل عن روسيا الى اليابان يحفظ قلب القيصر ورجال دولته على تركيا فيضمرون الانتقام منها في اول فرصة من حيث لا ينفع هذا الميل السلطان ولا الدولة من وجه آخر .

واما النصارى في البلاد العثمانية فهم أشد الناس ميلا الى روسيا لاسيما الروم الارثوذكس منهم والسبب في ذلك النزعة الدينية ولكنك تجد افرادا منهم يميلون الى اليابان لانها دولة شرقية قد ارتقت في العلم والنظام والصناعة فهم يفتخرون بها لانهم يعدون الشرق كله وطنهم والرابطة الوطنية اعلى في نفوسهم من الرابطة الدينية بل يرون ان الرابطة

الدينية ضارة في الدنيا وغير نافعة في الآخرة فانها هي التي حالت دون مساواتهم بمن يعيشون معهم في بلاد واحدة من كل وجه . وهذا الاعتقاد فاش في المتعلمين من النصارى ولكن لم يغلب وجدان الاكثرين، كما غلب أفكارهم — فهم يميلون الى مشاركتهم في الدين — ، وان كانوا غير معتقدين . ولو وجد في المسلمين عدد كثير يميل الى هذه الوطنية ولو مع المحافظة على دينهم لكثر عدد النصارى الوطنيين وتضاعف . وليس من موضوع بحثنا ان نطيل في حديث الوطنية وانما ذكرناها هذه المسائل لانها من العبر التي يصح ان نستفيدها من تأثير الحرب فذلك انفع لنا من معرفة عدد الذين يحفرون سكة حديد منشوريا ومعرفة طول نهر (يالو) وعرضه

وأهم مباحث هذه الحرب مبحث عاقبتها وتعديها الى الدول الاخرى ويظن ان اوربا كلها يسيئها ان يكون في الشرق دولة قوية عالمة صناعية ويسرها ان يتمزق شمل الجنس الاصفر كما تمزق شمل المسلمين اذ لم يكن لها منازع في السيادة على الشرق غير المسلمين وما أمنت جانبهم باستيلائها على أكثرهم وتعصبها على باقيهم الا نجم لها في الشرق ناجم آخر ينازعها في هذه السلطة . لذلك يظن ان لا يجني اليابان من انتصارهم — ان هم انتصروا — اكثر مما جنوا من انتصارهم على الصين وان اوربا بالامكنهم من توسيع نطاق ملكهم في الشرق ولا من تمدين الصين وتعليمها الا ان تشاء انكلترا وأمريكا مقاومة روسيا بهما . وقد بحث السياسيون منهم في عاقبة ارتقاء اليابان وانذروا اوربا الخطر من الجنس الاصفر اذا اجتمع شمله واتحدت كلمته . واظن ان فرنسا لا تتورط في الحرب لاجل روسيا اذا هي انكسرت واذا هي تورطت فانها تورط انكلترا وهنالك الخطر العظيم على أوربا كلها وعلى آسيا وعقلاء الدول الاوربية يتقون هذا الخطر أشد التقوى ولذلك اتفقوا على حل (المسألة الشرقية) بالمطاولة لا بالمناجزة والاقرب الى المعقول ان يحتل منشوريا وكوريا معا والاولى فقط جيش مؤلف من دول أوربا الكبرى لتبقى السيادة للابيض على الاصفر ولتؤمن اغارة روسيا على هذه البلاد مرة أخرى والاظن الحرب تستمر سنين طويلة

واما اذا انتصرت الروسية عاجلا أو آجلا فهل تترك لها أوربا وامريكا ملكي منشوريا وكوريا غنيمة باردة وترضيان بأن تكون لها السيادة العليا في الشرق الاقصى والكلمة النافذة في الصين؟ كلا ان هذا بعيد من المعقول وان الخطر في انتصار روسيا أشد

من الخطر في انكسارها وانه ينتظر حينئذ ان تهب الصين الى مساعدة اليابان فاذا ظهرت روسيا على الجنس الاصفر كله فللدول طريقتان أحداهما سلمية وهي الاتفاق على الزام روسيا بجعل منشوريا وكوريا تحت حماية الدول الكبرى واحتلالهن إياها بجيش مختلط والزام اليابان بالغرامة التي تثقل كاهلها واخذها بالعقوبات التي لا ينهض لها معها رأس، ولا يرتفع لها فيها صوت. والثانية حربية تسلك اذا تعذر الاتفاق بين الدول ذات الشأن وهي انكلترا والولايات المتحدة ثم المانيا وفرنسا أو أبت عليهن روسيا الدخول في الامر ولا بد ان تشد فرنسا عضدها حينئذ ولا مندوحة لانكلترا والولايات المتحدة عن امداد اليابان بالعساكر البرية والاساطيل البحرية ان بقي اسطول روسيا في الشرق حيا الى أن تتمكن من تعزيزه باسطول بحر البلطيك وماذا يفعل الدب الروسي حينئذ ؟

اذا كانت المحالفة بين روسيا وفرنسا تقضي على هذه باسعادها في الحرب اذا أسعدت خصمها دولة أخرى فهناك الطامة الكبرى وتكون الكلمة العليا في أوربا لمن تنصره المانيا فان أسطول فرنسا في البحر المتوسط لا يقف أمام اسطول انكلترا فيه لان هذا أقوى اساطيل انكلترا وهي تستطيع ان تعززه حالا بأسطول بحر المانش واسطول البحر الشمالي . والاقرب الى التصور ان تنتصر المانيا يومئذ لانكلترا على عدوتها الظاهرة وهي فرنسا وعدوتها الخفية وهي روسيا وتجعل السيادة في العالم بين الجرمانيين والسكسونيين فانهم اقرب نسبا ومذهبا — نقول هذا على تقدير وقوع ما نحذر منه أوربا وتتوقاه ، على انها تتوقعه وتخشاه. والارجح ان الدول تقدر على الزام الغالب والمغلوب بما تحكم به وانها تكتفي باضعاف الدولتين المتنازعتين في السيادة على الشرق الاقصى وتجعله مرتعا مباحا لجميع الاوربيين والامريكيين، ويكون النجاح للسابقين ، ويظن بعض الناس هنا ان الحرب العامة تفيد الدول المهضومة كالدولة العثمانية وايران وبعض الدول الصغيرة في أوربا ولكن المتفكرين يرجحون او يعتقدون بأن الحرب العامة لا تنتهي الا بانتهاء المسألة الشرقية وابتلاع الدول القوية للضعيفة في تلك الفرصة وقانا الله شرها وألهم الاقوياء ما فيه أمن الضعفاء .

هذا ما سنح لنا من الاخبار والآراء في هذا المقال لم نقصد به التفكيه والتسلية ولا تدوين تاريخ الحرب ولا التحزب السياسي بالانتصار لدولة دون اخرى وانما نقصد

التنبيه والايقاظ للاعتبار بأحوال الامم الحية واعمالها ، وامانيها و مالها ، لعل القارئ يتدبر فيحمن نفسه الى العزة والقوة ، ويتمنى ان تكون امته حية قوية ، ثم يقوده التمني الى التفكر في وسائله ليصير رجاء واملا ، يستلزم سعيا ويقتضي عملا ، وليت شعري امن الخوف ام من الرجاء ما يفكر به الاكثرون من استفادة الدولة العثمانية والدولة الفارسية من هذه الحرب التي يرون انها تشغل روسيا عنهما عشرين سنة؟ سئل عظيم من رجال احدى الدولتين المستفيدتين الاسلام — تركيا وايران — من هذه الحرب؟ فاجاب الرجل العظيم هل استفدتم من حديثنا هذا النائم (واشار الى رجل نائم في المجلس) واتفق ان استيقظ النائم عند الجواب فقال السائل : هاقد استيقظ النائم . قال : نعم ولكن النوم لا يزال ملء عينيه .

كم من فرصة سنحت لنا وخفت ، ثم تولت وخفيت ، ونحن في طريقنا سائرون ، وعما نادمون ، كتبنا (في ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣١٧ للموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩) مقالة عنوانها (الفرصتان) جاء فيها ما نصه كما في (ص ٥٣٢) من مجلد المنار الثاني :

« واما فرصة الدولة العلية فهي اشتغال روسيا فانكلترا وسائر دول اوربا الكبرى بالمسألة الصينية وانما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف الناس ان سياستها التقليدية تقتضي هواسمها من لوح الدول وضمها الى الامبراطورية الروسية العظمى أو من اتفاق اوربا على تقسيمها . يدل على شغل روسيا عنها بالطمع في الصين الفيحاء البعيدة الارجاء أن هذه الدولة قد عزمت على تعزيز الخط الحديدي العظيم الذي انشأته في سيبريا (وطوله ٤٦٩٥ ميلا) بخط آخر ينتظم من الطريق الاعظم في بلاد منشوريا التي هي في الشمال الشرقي للصين محتدا الى ميناء بورت آرثر وينوشوانغ ويقرب ان تمده من هذه الى بكين عاصمة الصين ، ويقدر المال اللازم لهذا الخط بعشرين مليون جنيه كما قدر المال اللازم للطريق سيبريا الاعظم بستة وخمسين مليون جنيه اذا مد عليه خط واحد . وانها قد قررت انفاق ٩ ملايين جنيه لتعزيز اسطولها بالبوارج من الطراز الجديد . خمسة وثمانون مليونا من الجنيهات من دولة لا تعد من الدول الغنية ليس الا لتلك الغنيمة الكبرى التي تتوقعها في الصين وتؤكد ذلك تقوية الاسطول مع أمنها على ثغورها في اوربا من الدول البحرية وعلمها بأن اليابان لا تقدم على محاربتها اقتحاف منها على فلاديفوستك وميناء بورت آرثر ولا يخفى على هاتين الحاضرتين

من غير اليابان . هذا ولا بد لانكلترا وفرنسا والمانيا من مزاحمة روسيا ولا بد ان يمتد اشتغالهن بتلك المملكة الى سنين كثيرة

« فيجب على الدولة العلية ان تشتغل بنفسها مادام الطامعون في شغل عنها فقد مضى عليها نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية عن الاصلاح الداخلي والدول الاوربية تطالبها بالاصلاح وهي التي تحول بينها وبينه . وقد بينا رأينا في الاصلاح الواجب من قبل في مقالات نشرت في المنار وأخرى في المؤيد وهي تسهيل التعليم العسكري وتقوية الاسطول ومساعدة الرعية على تعميم المعارف وانتقاء العمال والحكام من الأكفاء والدولة العلية وسلطانها الاعظم أعلم منا بما ينبغي ويجب من ذلك » اه

هذا ما قلناه منذ سنين والدولة لم تعمل شيئا منه يذكر ولكن اليابان استعدت في هذه المدة وابتدأت روسيا بالحرب وقد نقلت الجرائد الاوربية من أقوال قيصر روسيا وكبار قواده ما يدل على اعترافهم ببسالة هذه الدولة واستعدادها وانهم لا يقدرون على الانتقام منها الا بعد زمن طويل يتم فيه استعدادهم . ونقلت من أقوال اليابانيين وأناشيدهم ما يدل على احتقارهم الروسيين ورميهم اياهم بالجهل والظلم واعتقادهم بأنهم هم الغالبون بالعلم والنظام ودلائل النصر بادية لهم « فاعتبروا يا أولي الابصار »

وبقي علينا ان نشير الى ما يجب على دولة ايران فان الخطر عليها من روسيا أشد منه على غيرها وربما يكون أول شيء تتوجه اليه روسيا بعد ذهاب منشوريا من يدها اذا هي غلبت عليها أن تأخذ بلاد فارس عوضا عنها فتسترخذ لانها وتنكي انكلترا فالواجب على دولة ايران ان تعتني قبل كل شيء باتخاذ الوسائل لتسليح أهالي بلادها وتمرينهم على رمي الرصاص ليكونوا كلهم مدافعين اذا دخل العدو بلادهم كما هو حكم الشريعة الاسلامية وان تعتني أشد الاعتناء بالتعليم العسكري واستجلاب الاسلحة والذخائر الجديدة بقدر الطاقة وأظن ان انكلترا تساعدها في هذا الوقت اذا أرادت ولها ان تطلب ضباطا من أحدها تركيا فقد مضى زمن التقاطع والتدابر

واما أفغانستان فهي غنية عن التنبيه والانذار فان عنايتها بالتعليم العسكري واستعمال السلاح لا مزيد عليها فاذا انهزمت روسيا من امام اليابان ، فانها لا تقوى على مهاجمة الافغان ، لما عليه هؤلاء من شدة البأس ، وصعوبة المراس ، ووعورة البلاد ، وحسن الاستعداد ،

دعوى الخلافة

(تعريب مقالة نشرت في جريدة (ترك) الغراء)

ان دعوى الخلافة هي من أهم الاسباب الداعية لتشتت شمل المسلمين والمانع الوحيد لوفاقهم ووئامهم وماهي بالشيء الجديد وانما بدأت منذ زمان سيدنا علي ومعاوية ونمت بعدئذ وتشعبت الى شعب كثيرة . واشرأبت نحوها أعناق الامم الاسلامية بأسرها حتى ان كل أمة من هذه الامم لا يروقها وجود الخلافة عند غيرها ولا تراها صالحة الا لها . فكم من دماء على هذه المسئلة قد اريقت ، وكم أرواح زهقت ، وأطفال يتمت ، ونساء رملت ، وكم أضرت هذه الدعوى بالاسلام من الاضرار البليغة المادية والادبية

وأكثر الكل تحججاً بدعوى الخلافة هم العرب اذ يتخذون انتسابهم الى النبي ﷺ ونزول القرآن باللغة العربية ومدنية العرب بعد الاسلام حجة على تأييد مدعاهم . ولا يروقهم كون الخلافة بيد الترك الذين تشرفوا بالدين الحنيف منذ سبعة قرون ولا يرونها لائقة بهم . ومع ذلك فان الوفاق والوئام لا أثر لهما بين العرب . فترى مثلا ان أهل الحجاز يريدون ان يكون شريف مكة هو الخليفة وان الخلافة حقه لا ينازعه فيها منازع . كما ان كل شيخ مشايخ عربان اليمن يريد الخلافة لنفسه . اما السوريون فان أفكارهم تناقض هذه الافكار كل المناقضة . ولو عطفنا النظر الى المسلمين القاطنين في أفريقا رأينا المراكشيين يدعون ان سلطانهم من نسل النبي وانه أحق بالخلافة من غيره . أما سكان وادي النيل فانهم يريدون ان تكون القاهرة مركزاً للخلافة كما كانت في العصور الغابرة فتراهم لا يألون جهداً في تعميم هذا الفكر بين افراد المصريين . واما الايرانيون فانهم لا يعتقدون بصحة خلافة الذين تولوا الخلافة بعد أولاد الرسول ولا يقبلون غيرهم أحداً فعلى ظني ان هذه الدعاوى جميعها مبنية على اسس واهية وهذه الافكار أوهام باطلة وهذه الاقوال غير صحيحة .

فاول شرط من شروط الخلافة هو ان تكون الامة التي تبغي حمل تبعة هذا المنصب على عاتقها هي أكثر الامم الاسلامية جاهاً وأبعدهم في الحضارة شأواً وأقدرهم على درء العدو عن حوزة الخلافة المقدسة وهو ما يقضي به العقل والشرع . فاذا نظرنا اليهم نظرة الناقد البصير فهل نرى غير العثمانيين منهم أمة تحوز هذه الاوصاف جميعها ؟ كلا : فالخلافة لا تقاس بالبابوية الكاثوليك . ولم تكن وظيفة الخليفة محصورة في رفع الاكف والدعاء

لحفظ الخلافة الاسلامية وصيانتها . بل ان من الواجب على الخليفة ان يريق الدماء ويبذل الاموال للذود عن حقوقها .

فالمراكشيون الذين لا يزالون على ما كانوا عليه من الهمجية منذ القرون الوسطى ولا همة الرمح ورماة السهام من قبائل افريقا والشريف مكة الذي لا يهمه سوى سلب الحجاج أموالهم ، والأصحاب الاوهام الباطلة من المصريين يقادرين على القيام بحقوق هذا المنصب . ولا يمكن ان يقوم باعبائه غير العثمانيين الذين تؤهلهم له حضارتهم وموقعهم الجغرافي وبسالة جنودهم وانتظامها . وما أتوه من الخدم الجزيلة وما أراقوه من الدماء في سبيل هذه الغاية في العصور الخالية لهو اقوى دليل على ما قدمناه . ولكن هل استفادوا مقابل ذلك شيئا من الفائدة المادية؟ كلا ثم كلا . فلو لم يحملوا تبعة هذا المنصب على عاتقهم لاستراحوا من هذا العناء ، ولامضوا حياتهم السياسية بكل راحة وهناء ، ولما تسلطت النصارى حتى الاميركيون منهم على الاتراك ولما ترقبوا الفرص لايقاع الاذى بهم وكل ذلك لم يكن الا لكون الاتراك هم عضد الاسلام الاقوى وجميع السهام المصوبة نحو الاسلام لا تقع الا على رءوس الاتراك . اما ما يقال من ان الترك لم يقوموا بأعباء هذا المنصب حق القيام فهو صحيح . ولكن ليبرز من يقدر على القيام باعبائه أكثر منهم على شرط ان يؤيد أقواله بالافعال . وحينئذ يرى العثمانيين مستعدين لتسليم هذه الامانة المقدسة والانزواء في زاوية الراحة .

اما اذا قال قائل ان الحكومة العثمانية لا تترك للسوريين واليمانيين والبغداديين مجالا فنقول : من ذا الذي يا ترى غل أيدي المراكشيين والتونسيين والمصريين عن العمل؟ ولكن هيهات « طيب يداوي والطبيب عليل » اه

(المنار) قول الكاتب الاديب ان دعوى الخلافة كانت بلاء على المسلمين وأنها أضرت بهم كثيرا صحيح وكان يجب عليه ان يحث في تلافي هذا الضرر لا أن يهيجه بتعظيم قومه وتحقير سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم . وكان يجب عليه ان يمثل لهم قوة الدولة العثمانية عزاهم وشرفا لا عارا عليهم وهضما . ان الكاتب أخطأ في سير عقالته واثنانيين له خطأه ووجه الصواب الذي كان ينبغي له ان يعرفه وان يعرف الناس به وهو انه لا يوجد في سوريا ولا في مصر من يفكر في جعل خليفة المسلمين سوريا أو مصريا أو بغداديا . واما الكلام في المسألة فقد وجد في مصر وحدها من افراد من أهل البطالة الذين يكسبون المال والجاه

من الاستانة ومصر بكتابة التقارير ، للايهام والتغرير ، وقد كتبوا أوراقا ونظموا أشعاراً يوهمون بها السلطان بأن خديو مصر يسعى للخلافة سعيها وان الامة المصرية تابعة له . ويريدون بهذا التقرب الى السلطان تارة والى الخديو أخرى على أنهم يخوفون السلطان منه ليقضي له حاجاته عندهم وحال هؤلاء معلوم وهم يوقنون بأن الامة المصرية لا تفكر في هذا المعنى ولا ترجوه فضلا عن كونها تسعى اليه

هذا ما نعلمه علم اختبار في القطرين ونعرف برواية الصادقين ان أهل مكة والمدينة لا يريدون ان يكون أميرها خليفة للمسلمين . وكذلك البلاد العربية كلها تود ان تكون دائما تحت رعاية الدولة العثمانية وسيادتها بشرط ان تقيم فيها العدل واما الذين يخرجون في اليمن فهم معدودون يستفزهم ظلم أحكام الترك فيحاربون ، ولو حكموا بالعدل لما كانوا يثورون ، فهذا ما نقوله بناء على اختبار من نثق بهم كصديقنا محمد باشا عبد الوهاب أمير دارين وصديقنا المرحوم الكواكبي الذي ساح في الجزيرة واختبرها حق الاختبار ولكن العرب لا يصبرون على الضيم فاذا ساءت معاملتهم ساءت اعمالهم . واما أهل مراكش فلا علاقة لهم بالسلطنة التركية . ودعوى سلطانهم الخلافة كدعوى سلطاننا لم تحمل احدهما صاحبها على منازعة الآخر وأما كونها مانعة من اتحادهما فاللوم فيه أعلم السلطانين وأحكمهما اذ يرضى ان يكون اللقب سبب التفريق بين رؤساء المسلمين بلا فائدة . واما الايرانيون فعذرهم أوضح الاعذار لان المسألة عندهم دينية محضة فلا يمكن مطالبتهم بترك اعتقادهم الا بالحجة الدينية ومقالة جريدة (ترك) سياسية لا دينية

فعلم من هذا ان تصوير الكاتب الفاضل مسألة الخلافة غير صحيح من جهة الواقع أي انه ليس في المسلمين من ينازع الترك بالفعل لاجل لقب الخلافة وهذا هو روح المسألة

واما قوله ان العرب يحتجون على كونهم أحق بالخلافة بكذا فغير صحيح أيضا وانما يحتجون بالاحاديث الصحيحة المتفق عليها الناطقة بأن الخلافة في قريش وهي حجة لم يخالفهم فيها أحد من علماء الترك فهذه كتبهم في العقائد والفقه والحديث متفقة مع كتب علماء العرب على اشتراط القرشية في الخلافة . ولا يقدر ان يقول ان حديث الرسول من « الاوهام الباطلة والاسس الواهية » وانما الباطل ما ذكره هو في شروط الخلافة من الجاه والحضارة والموقع الجغرافي !! نعم ان القوة هي المدار الحقيقي ولكن يجب على المسلمين ان يجعلوا قوتهم مؤيدة للحق الذي جاءت به شريعتهم وحجة له

لاخاذلة له وحجة عليه . ولو كانت الحضارة شرطا لصحت خلافة الراشدين

وأما قوله هاتوا لنا من يقدر على القيام بحقوق الخلافة من غير الترك لنسلمها اليهم فجوابه ان الخلافة ليست حقا شائعا منتشراً بين افراد الشعب التركي الممتاز على جميع الشعوب بحضارته فيقال ذلك وانما هي منصب تقلده الامة لرجل واحد وهذا الواحد يجب ان تقيده الامة بشريعتها فاذا كان ما يقوله الكاتب صحيحا فليختر الترك أولي بوا رجلا قرشيا من آل البيت على صفات الخلافة ويجعلوه بقوتهم التي وصفها خليفة للمسلمين ولا يتوقف هذا على ما يعجز الكاتب به الشعوب الاسلامية من مطالبتها بالاستعداد لازالة قوة الترك وايجاد خلافة بقوة أخرى !!!

وخلاصة القول ان البحث في الخلافة والخليفة من اللغو الذي يخشى ضره ولا يرجى نفعه . وان الذي يجب على كل مسلم في هذا العصر هو ان يؤلف بين المسلمين في حكوماتهم وأفرادهم وان لا يجعل هذا اللقب سببا للتفريق ولا اختلاف اللغات سببا للاختلاف . وأن لا يضر الترك شيء مثل جعلهم التركية جامعة لهم يفتخرون بها على سائر المسلمين وتعمدهم إضعاف الشعوب الاسلامية ليتازوا بالقوة وحدهم فانهم اذا أمسوا وحدهم فلابد ان تبتلعهم أوربا وقد رأوا العبرة بالممالك التي انفصلت منهم والممالك التي تهدد بالانفصال . والكاتب الفاضل يعلم ان القوة التي افتخر بها ليست مؤلفة من الترك وحدهم بل منهم ومن العرب والاكراد والارناؤط وغيرهم . فعليه ان يحث قومه على مساواة جميع الشعوب التي تتألف منها الدولة بانفسهم في بلاد الدولة وان يتقربوا من سائر الشعوب الاسلامية بخدمة الاسلام نفسه أي باحياء لغة كتابه المنزل من عند الله تعالى على رسوله العربي وباقامة شريعته العادلة وبتأمين حرم الله وحرم رسوله فان عار سلب الشريف أموال الحجاج انما هو على الدولة التي تحكم الحجاز لا على الشريف الذي هو أحد عمالها الذين يوليهم سلطانها « خادم الحرمين الشريفين » فاذا فعلت الدولة ذلك ووجهت قوتها الى جمع الشعوب وتأليف القلوب ، رجي لها الفوز بالمرغوب . والا كانت هي المقطعة لاوصال الاسلام محافظة على سيادة العنصر التركي

واما ما تبجح به من أعمال الترك وجهادهم في سبيل الخلافة المقدسة فهو أغرب ما في المقالة فان الترك أيام حروبهم وفتوحاتهم لم يكونوا يذكرون لفظ الخلافة ولا يتبجحون به كما اليوم ولم تكن حروبهم دينية اذ لم يكن يتقدمها دعوة الى الاسلام

ولم تكن لحماية الدعوة وحرية الدين وانما كانت لسعة الملك ولذلك لم ينتشر الاسلام في الممالك التي افتتحوها بسعيهم واقامتهم للدين ، ولا ارتقت فيها الحضارة بمدنيتهم ، ولا اتسعت دائرة المعارف بعلومهم ، ولا قدروا على تحويلها الى لغتهم وجنسهم بحسن سياستهم ، بل أحفظوها عليهم ، حتى أمكنتها الفرصة فتملصت من أيديهم ، وهذا حق يسوءنا ذكره ، ولا يسعنا إنكاره ، فعلينا وعلى أخينا الكاتب الفاضل ان نرغب عن الفخر بالباطل ، الى تأليف القلوب بالحق ، وما هو الاشدة حاجة بعضنا الى بعض وتنامي انتشعوب مختلفة فحسبنا ان الاسلام جمع بيننا وجعلنا بنعمة الله اخوانا وان الخلافة الحقيقية لم تكن الا للراشدين ثم صارت ملكا عضوضا

ألم يكن أفضل مما كتبه في رمي العرب عامة والمصريين والسوريين منهم خاصة ببغض الترك وتمني نزع لقب الخلافة منهم ان يذكر الجميع بأن أوربا واقفة للمسلمين عامة بالمرصاد وان أعون شيء لها عليهم اختلافهم وتفرقهم وأنه لامصلحة لاحد منهم في هذا التفرق وان الدولة العلية هي أقوى دولهم فاذا أوقع الاعداء بها وهي قائمة ، فكيف يرجى ان تنهض بهم أمة نائمة .؟ ألم يكن الافضل لمن يعتقد ان التنازع على لقب الخليفة هو المانع من اتحاد المسلمين ان يدعو قومه الى السكوت عن هذا اللقب ويدعو سائر الحكومات الاسلامية الى الاتحاد على حفظ البلاد الاسلامية مع بقاء كل أمير في امارته وكل سلطان في سلطنته كما يتحالف ويتحد ملوك النصارى ؟

ليخبرني الكاتب الفاضل اي ضرر يلحق الدولة أو الاسلام والمسلمين اذا سكتنا عن الفخر بهذا اللقب الذي اعترف هو بان ادعاءه قد فرق كلمة المسلمين ؟ ان قال تفوت فائدته في تكبير أوربا شأن الدولة العلية : أقول وهل كان هذا التكبير الا ضارا إذ هو الذي اقام قيامة أوربا على الترك كما قال ، وهو الذي يحمل دول أوربا على التضييق على مسلمي مستعمراتهم توهما انهم يميلون الى الدولة على أنهم لايتركون الضغط على الدولة لارضائهم . وان قال انه يفوتها بذلك ماتجنيه من مسلمي تلك المستعمرات من الفوائد : نقول لانسلم ان نحو مساعدة مسلمي الهند لسكة الحديد الحجازية هو لاجل لقب الخلافة ولئن سلمنا لنقولن ان هذه الفوائد لاتوازي بعض مضرة مناهضة أوربا ونفور العرب من الدولة ان صح قوله الاول انهم نافرون .

دعاء شعبان ـ انتقاد المنار

تكرر منا الوعد بأننا نتقبل الانتقاد علينا ونذكر رأينا فيه قائما تسليما واما تفنيدا. وقد كنا ذكرنا في الجزء السابع عشر من هذه السنة كلاما في بدع ليلة النصف من شعبان، ذكرنا ان من ذلك الدعاء المشهور الذي لم ينزل الله به من سلطان. ثم تنبهنا الى ما كنا قرأناه في كتاب كنز العمال من ان لبعض ألفاظ الدعاء أصلا مرويا في الجملة كما سنذكره وكتب الينا عقيب ذلك الشيخ ابراهيم السمنودي المنصوري كتابا يقول فيه: « اخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله عليه في معيشته: ياذا المن ولا يمن عليه، ياذا الجلال والاكرام، ياذا الطول لا إله الا أنت، ظهر اللاجين، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا، فامح عني اسم الشقاوة، واثبتني عندك سعيدا، وان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروما مقترا علي رزقي فامح حرماني ويسر رزقي واثبتني عندك سعيدا موفقا للخير فانك تقول في كتابك الذي انزلت « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »: واخرج بعضه عبد بن حميد وغيره عن عمر رضي الله تعالى عنه. وكذا ابن جرير عن شقيق بن وائل ومعلوم ان ليس في ذلك للرأي مجال فيكون في حكم المرفوع: اهـ

(المنار): مصنف ابن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد لم تتداولهما الايدي ولا نعرف في عصرنا من يرويهما متلقيا نسخهما بحيث يصح ان يعتمد على هذه النسخ والرجلان من متقدمي المحدثين وكل ما رووه فهو في كتب الحديث المتداولة صحيحه في الصحاح وحسنه في الحسان وضعيفه في الضعاف. وهذا كتاب الجامع الكبير للسيوطي يقول انه احصى فيه جميع هذه الكتب المعروفة ولم نجد في كنز العمال (الذي هو الجامع الكبير وزيادة الا انه مختلف الترتيب) هذا الحديث عن هذين المحدثين. وانما اخرج عن الحاكم بسند ضعيف « عن الحسن بن أبي الحسن أظنه ذكر عن عبد الله بن مسعود قال: كان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة كان يأمر ان لا تعلموها السفهاء فيدعون بها (كذا) فكان يقول: ياذا الجلال والاكرام » وساق نحو ما تقدم مع تغيير في العبارة ولم يذكر « فانك تقول في كتابك » الخ وعن ابن لال كلاهما عن أبي عثمان الهندي انه سمع عمر يقول في طوافه « اللهم ان كنت كتبتني عندك في السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في الشقاوة فامحني منها واثبتني في السعادة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب » ولو صح هذا وما قبله ـ وما

هما بصحيحين — لم يكن فيهما حجة على هذا الشعار الديني المبتدع في ليلة النصف والدعاء الملفق الذي يطلب فيه محو ما في أم الكتاب ، على ان الرواية الاولى لم يجزم فيها بقول ابن مسعود ، والثانية أبعد عن المقصود . ونرجو من الاستاذ السنوسي ان يكتب الينا مستدركا ما رآه والا فلا معول عليه أني كان .

﴿ خاتمة السنة السادسة ﴾

نحمد الله تعالى ونشكره أن أتم لنا ست سنين ، في خدمة الامة والدين ، وان جعل هذا المنار حيا ناميا يزيد الاقبال عليه والثقة به سنة بعد سنة ويتجدد له في كل عام مئون من المشتركين . ثم بعد شكر الله تعالى نشكر أهل الفضل والغيرة الذي وازرونا في عملنا بالترغيب في المنار وبأداء حقه في وقته وكان أعظمهم منة علينا في هاتين السنتين وكيل المنار الهمام في تونس الذي تجدد لنا بسعيه وهمته عدد عظيم من المشتركين ووعد — وهو خير من وفى — بأنه لا يأتي شهر صفر ولنا عند أحد في تلك البلاد قرش واحد من الاشتراك . ثم ذلك السري الشيعي الذي طلب منا خمسين نسخة ترسل باسمه وهو يدفع قيمتها . وكذلك بعض كبراء المصريين الذي كان مشتركا بعدة نسخ فزادها في السنة الماضية عشرا ومثله كبير في بلاد العرب زاد في اشتراكه عشر نسخ فحيا الله هؤلاء الكرام ، وادامهم انصارا للعلم والاسلام ، ثم نشكر لسائر المشتركين الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم في زمن قل فيه الوفاء وعظم فيه الشح في طريق الحق والخير من حيث عظم السرف والتبذير في سبيل الترف والشهوات . وندعو للماطلين المسوفين بأداء قيمة الاشتراك بمذر أو بغير عذر بأن يوفقهم الله تعالى لما فيه خير أنفسهم وصلاحها من الوفاء والاهتمام بالاعمال النافعة والتعاون على البر والتقوى . ونختم هذا المجلد بالصلاة والسلام على خاتم النبيين . والحمد لله رب العالمين .

﴿ شرط الاشتراك في المنار ﴾

كل من يقبل الجزء الاول من السنة السابعة (١٣٢٢) يعد مشتركا الى نهاية السنة ويجب عليه دفع قيمة الاشتراك كاملة وان رد المجلة بعد ذلك فلم يرض بهذا الشرط فليرد الينا الجزء الاول . وعلى من لا يصل اليه بعض الاجزاء ان يطلبه في مدة ٣٠ يوما من يوم تصدوره يرسل اليه فان طلبه بعد ذلك فعليه ان يرسل ثمنه قرشين ونصف قرش والادارة غير مكلفة باعطاء بدل المفقود ولو بالثمن ، والحكم في مراعاة ما تقدم الذمة والامانة .